منظمة العفو الدولية

نوفمبر/تشرين الثاني 2014

سوريا: أصوات في محنة

نشرة شهرية حول أزمة حقوق الإنسان في سوريا

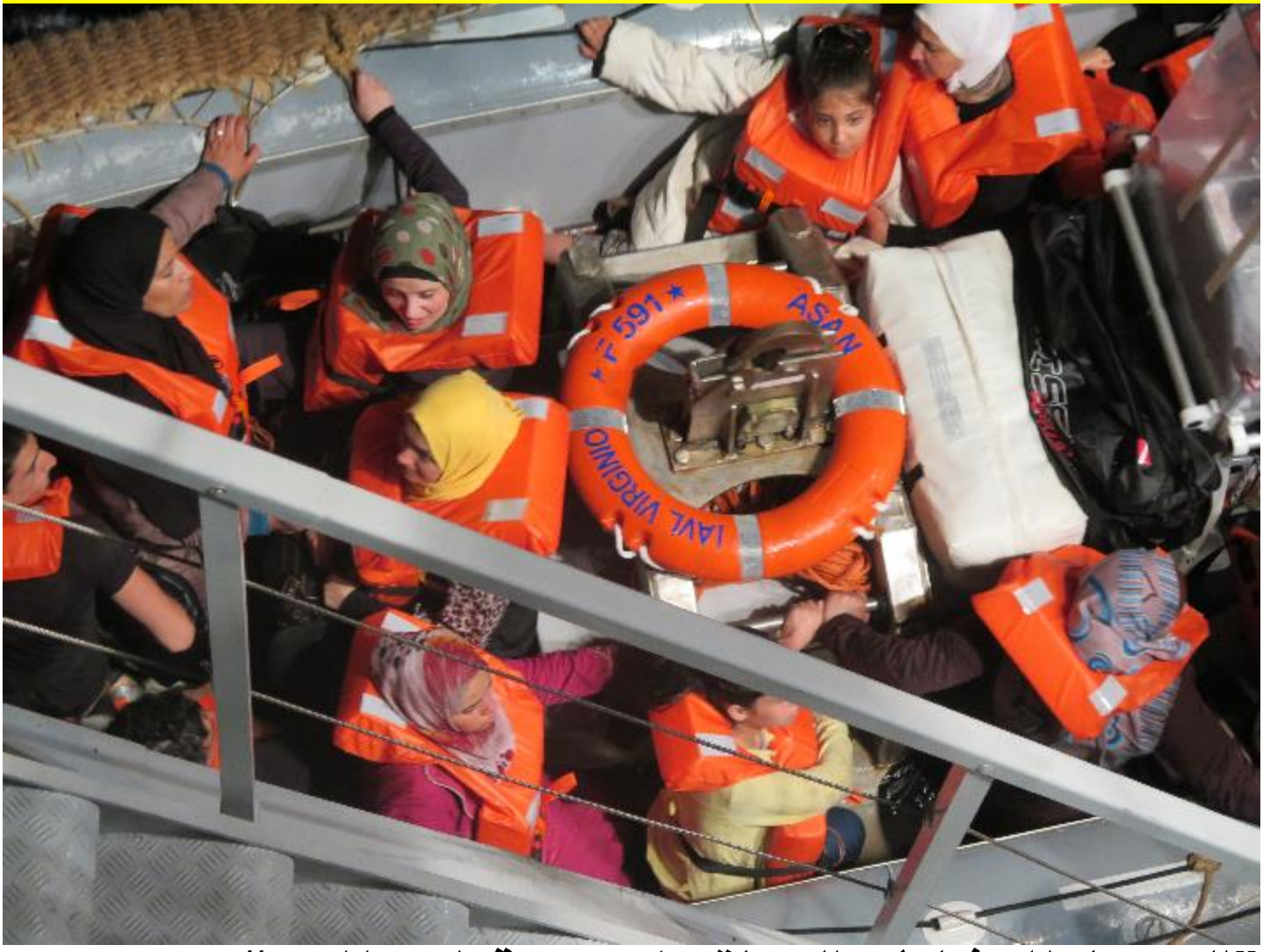

إحدى سفن البحرية الإيطالية تقوم بأنشطة بحث وإنقاذ في عرض البحر الأبيض المتوسط في أغسطس/آب 2014
© Amnesty International

"الوصول إلى شاطئ الحياة على متن قوارب الموت"

أحمد*، أحد اللاجئين الفلسطينيين الذين فروا من الاضطهاد في سورية إلى بر الأمان في أوروبا

الحياة داخل خلية للنحل

"في الأشهر التي سبقت مغادرتي سورية عام 2013، حولت الاشتباكات بين قوات النظام والجماعات المسلحة الحي الذي أسكنه في مخيم اليرموك بدمشق إلى خلية نحل. فلقد كان المكان بعج بالحركة على الدوام وأصبح اليرموك ملاذا للفارين من الأحياء الأخرى. وعملت في مجال توفير المساعدات الإنسانية وكناشط إعلامي، ولكن المقنّعين الذين يعملون لحساب النظام لم يفرقوا بين عمال الإغاثة الإنسانية ومقاتلي المعارضة المسلحة. فتواريت عن الأنظار مع توالي اعتقال المزيد والمزيد من أصدقائي."

دقت ساعة الفرار

"ولقد قررت أن الوقت قد حان كي أحزم حقائبي وأغادر. ولكن إلى أين عساي أتوجه؟ إذ لا يُسمح للاجئين الفلسطينيين الفارين من سورية دخول أي بلد دون الحصول على تأشيرة دخول. فاعتقدت أن لبنان لربما يكون آخر الخيارات الصعبة، ولكنني سمعت عن التمييز ضد اللاجئين الفلسطينيين هناك وحرمانهم من التمتع بالكثير من حقوقهم.

"ولقد قررت أن الوقت قد حان كي أحزم حقائبي وأغادر. ولكن إلى أين عساي أتوجه؟ إذ لا يُسمح للاجئين الفلسطينيين الفارين من سورية دخول أي بلد دون الحصول على تأشيرة دخول. فاعتقدت أن لبنان لربما يكون آخر الخيارات الصعبة، ولكنني سمعت عن التمييز ضد اللاجئين الفلسطينيين هناك وحرمانهم من التمتع بالكثير من حقوقهم.

"وفي نهاية المطاف وبعد التشاور مع بعض الأصدقاء، قررت أن أسافر إلى مصر. وبمساعدة من أحد الأصدقاء تمكنت من الحصول على قبول للدراسة في إحدى الجامعات المصرية. فغادرت في غضون أيام وكان كل ما يشغل بالي في الطريق إلى مطار دمشق هو الخوف من التعرض للاعتقال.

"وفي المطار استلم أحد الضباط وثائق سفري. فحاولت أن أبدو واثقا من نفسي. وشعرت أن الدقائق القليلة التي استغرقها وهو يدقق في أوراقي كما لو كانت سنوات تمر ببطء شديد. ولم يغادرني الشعور بالخوف إلا بعد أن أقلعت الطائرة مغادرةً أرض المطار.

مصر ما بعد الانتفاضة

"وعندما وصلت إلى مصر بدأت أشعر بشيء من الراحة. فلقد مرت البلاد للتو بانتفاضة قبل سنة وشعرت أنني محاط بناشطين نجحوا في إسقاط نظام ديكتاتوري شكل رمزا للقمع في العالم العربي. ومرت في ذهني جميع رسومات التفاؤل وصور الأمل الجميلة وحدثت نفسي قائلا: "آمل أن أتمكن من الحديث كما أشاء وأن أتحرك بحرية وأن أقول لا للظلم". ولكن سرعان ما تبخرت أحلامي وذهبت أدراج الرياح عندما واجهت الواقع الجديد في مصر.

"وفي أول يوم دخلت الجامعة فيه، طلبت الحصول على بعض الوثائق من أجل جعل إقامتي في مصر إقامة نظامية. وحصلت على الأوراق بعد بضعة أيام وتوجهت إلى إدارة الهجرة المصرية في القاهرة للحصول على تصريح الإقامة الخاص بي. وبعد أن دقق ستة ضباط في أوارقي توجهت إلى الضابط المسؤول وسألته عن سبب استغراق الإجراءات وقتا طويلا. فرمقني بنظرة غير سارة وطلب الاطلاع على جواز سفري. فقلت له أنني لا أحمل جوازا للسفر ولكن لدي وثيقة هوية لأنني لاجئ فلسطيني. فضحك قائلا: "فلسطيني سوري، وتريد تصريح إقامة!" فرمى بأوراقي على الأرض وأخبرني بأن أعود بعد شهر أو اثنين. ولقد تكررت هذه العملية طوال فترة إقامتي في مصر.

كرة النار الملتهبة

"لقد عاملتنا السلطات المصرية بطريقة مختلفة عما تعامل اللاجئين السوريين به. ولم يكن باستطاعة وكالات الأمم المتحدة المعنية باللاجئين عموما واللاجئين الفلسطينيين في مصر خصوصا أن تساعدنا، حيث لم تتمكن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ووكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) من مد يد العون لنا. وتمت إحالتنا من منظمة غير حكومية إلى أخرى دون طائل. فلقد كان اللاجئون الفلسطينيون الفارون من سورية بمثابة كرة من النار يتقاذفها الجميع رغبة في التخلص منها .

"وعلى الرغم من شظف العيش في مصر، فلقد شعرت بهامش من الحرية. وبدأت أتتبع المشاكل التي يواجهها اللاجئون الفلسطينيون الفارون من سورية في مصر وتواصلت مع أشخاص ومنظمات مختلفة لتسليط الضوء على هذه المشاكل. فلقد زُج باللاجئين الفلسطينيين من سورية في السجون فيما افتقر آخرون منهم لوسائل كسب الرزق وأصبحوا مشردين بلا مأوى لتبدأ حينها رحلات القوارب المميتة إلى أوروبا بالظهور.

"وسرعان ما تم تضييق هامش الحرية عقب الإطاحة بالرئيس السابق محمد مرسي بتاريخ 3 يوليو/ تموز 2013. واتصل بي أحد المسؤولين الذين سبق لي وأن قمت بانتقاده، الأمر الذي حملني على الشعور بالقلق على أمني الشخصي. وازدادت الأوضاع توترا مع فرض حظر التجول في البلاد وانتشار عناصر الشرطة في كل مكان. ولقد خشيت أن ينتهز المسؤول وضعي الحرج، فأدركت حينها أن لا مفر لي من مغادرة مصر.

"وبعد عدة محاولات تمكنت من الحصول على تأشيرة لدخول تركيا. وشعرت أنني كنت أغادر مصر وهي على وشك أن تشهد حريقا تأتي نيرانه كل شيء بما في ذلك المدافعين عن حقوق الإنسان. فلقد كانت السفارة التركية في مصر تغص بالناشطين السلميين الساعين إلى الفرار من البلاد.

في 14 أغسطس/آب أنقذت إحدى سفن البحرية الإيطالية 1004 لاجئين وطالبي لجوء. © Amnesty International

"وبينما شعرت بالأمان في تركيا، كان من الصعب علي أن أحصل على تصريح إقامة قانوني فيها. فلقد ظهر أن جميع الأبواب قد أُوصدت في وجهي. واقترب موعد انتهاء صلاحية وثيقة السفر التي أحملها ورفضت القنصلية السورية تجديد الوثيقة.

لم يرحب بي أحد غير البحر

"بعد أن أوصدت جميع البلدان أبوابها في وجه الفلسطينيين الفارين من سورية، لم يعد أمامنا سوى ركوب البحر كخيار أوحد. فركبت إحدى قوارب الموت إياها بما أنه لم يتبق بحوزتي ما أغامر به سوى حياتي. سجلت المحاولة الأولى فشلا ذريعا حيث وقعت رفقة مجموعة من الأشخاص ضحايا لأحد المهربين. كان القارب صغيرا جدا وكان ربانه والمهربون مسلحين. ورفضنا الصعود على متن القارب فيما غادروا هم وأموالنا في جيوبهم.

"ثم كررت محاولة مغادرة تركيا بعد حوالي شهر. فوضعونا على متن شاحنة طوال سبع ساعات ونحن وقوف على أقدامنا دون مكان للجلوس أو الراحة نظرا لاكتظاظ الشاحنة. وبعد المغيب، وصلنا إلى طريق ترابية طويلة ومليئة بالمطبات وترجلنا عند منطقة تقع بين الأشجار. وقال لنا المهرب أنه يتعين علينا الانتظار هناك بضع ساعات أخرى سرعان ما تحولت إلى أيام. وفي غضون يومين استهلكنا كل ما بحوزتنا من القوى والطعام.

"وفي نهاية المطاف وعند منتصف الليل، تحركنا لنجد قاربا صغيرا بانتظارنا. فصعدنا إليه خائرين القوى ويملؤنا الخوف من أن نعود أدراجنا. لقد كنا حوالي 140 شخصا على متن قارب لا يتجاوز طوله 14 مترا. ولم يكن هناك مكان للاستلقاء أو التحرك أو قضاء الحاجة. واستغرقت الرحلة ستة أيام – ولا أعلم كيف مرت في الحقيقة. ونفد مخزوننا من مياه الشرب في الليلة الرابعة من الرحلة. ولم أتناول أي طعام، وشعرت أن قواي خائرة.

نهاية الرحلة

"وصلنا إلى أحد الشواطئ في إيطاليا ونزلنا من القارب. ولم نكن قادرين حينها على التمييز بين الأرض والبحر فلقد ظهرت الصخور كما لو أنها كانت تتحرك. وانتقلنا بسرعة خوفا من التعرض للاعتقال ولكن كانت الشرطة الإيطالية قد سبقتنا بخطوات. وبعد أن ألقت القبض علينا، أصرت الشرطة على أخذ بصمات أصابعنا لتسجيلنا في أول منفذ دخول إلى إيطاليا وتوثيق طلبات اللجوء الخاصة بنا. ومورست ضغوط كبيرة بحق من أعرض عن أخذ البصمات، وتعرض البعض منهم للضرب أيضا.

طالبو لجوء ولاجئون تم إنقاذهم في عرض البحر المتوسط بواسطة إحدى السفن البحرية الإيطالية وإنزالهم في جزيرة صقلية. © Amnesty International

"وأمضينا ثلاثة أو أربعة أيام في الحجز في إيطاليا ثم وصل الكابوس إلى نهايته. وتمكنت من الاتصال بعدد من الصحفيين وناشطي حقوق الإنسان وبعض الأصدقاء. وأُعيد لم شملنا مع أفراد عائلاتنا. ولا زالت أمورنا صعبة مع ذلك ولكن وصلت مغامراتي إلى نهايتها على الأقل."

ومع ذلك مازال الفلسطينيون الفارون من سورية يتعرضون للكثير من الظلم. وغالبا ما تلجأ تركيا على نحو منتظم إلى رد الفلسطينيين من غير حملة تأشيرات الدخول، وتصدهم عن دخول أراضيها في انتهاك للقوانين التركية قبل أي شيء آخر، فيما عمد الأردن ولبنان والعراق إلى إغلاق حدودهم عموما في وجه اللاجئين الفلسطينيين الفارين من سورية، بينما تمتنع مصر عن إصدار تصاريح إقامة لهم. ولا زالت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سورية عرضة للقصف، ولا زالت القوات السورية تضرب حصارا على مخيم اليرموك، وما انفك الشباب والناشطون يُستهدفون من قبل جميع أطراف النزاع المسلح.

*لقد تم تغيير اسم صاحب القصة

ضوء على حالة – رزان زيتونة وزملاؤها

" ونقول لجميع الأشخاص وفي كل مكان: ساعدونا كي نعرف مصيرهم ونحررهم من غياهب سجنهم "

ولا زالت المحامية المتخصصة في حقوق الإنسان رزان زيتونة مفقودة رفقة زوجها، واثنين من أصدقائهما، عقب تعرضهم للاختطاف على أيدي مسلحين مجهولين في ديسمبر/ كانون الأول 2013 .

ولطالما دأبت رزان زيتونة على الدفاع عن السجناء السياسيين في سورية منذ عام 2001. كما سبق لها العمل مع لجنة دعم عائلات السجناء السياسيين في سورية وساعدت في تأسيس العديد من المنظمات المعنية بتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان، لا سيما مركز توثيق الانتهاكات.

وعقب اندلاع الأزمة في سورية عام 2011 مباشرة، اضطُرت رزان وزوجها الناشط السلمي وائل حمادة إلى التواري عن الأنظار خوفا من أن تقوم السلطات السورية بإلقاء القبض عليهما بسبب أنشطة رزان كمدافعة عن حقوق الإنسان. وعلى الرغم من الكثير من التدابير الاحتياطية التي اتخذاها، فلقد احتجز عناصر من المخابرات الجوية وائل حمادة في مايو/ أيار 2011.

وعقب إطلاق سراحه في أغسطس/آب 2011، انتقل رفقة زوجته رزان للسكن في الغوطة الشرقية على أطراف العاصمة دمشق كونها منطقة تقع تحت سيطرة جماعات المعارضة المسلحة، واستمرا من هناك في توثيق انتهاكات حقوق الإنسان. وفي الغوطة الشرقية، شاركت رزان زيتونة في تأسيس مكتب دعم المشاريع المحلية التنموية والصغيرة لمساندة مؤسسات المجتمع المدني في المنطقة .

وبدأت رزان تتلقى تهديدات من عناصر الجماعات المسلحة في الغوطة الشرقية. وفي مساء يوم 9 ديسمبر/ كانون الأول 2013، وصلت مجموعة من المسلحين إلى مكتب مركز توثيق الانتهاكات في دوما واختطفت رزان زيتونة ووائل حمادة واثنين من زملائهما هما سميرة خليل، الناشطة السلمية، والمحامي ناظم حمادة. ومنذ الليلة التي تعرضوا فيها للاختطاف، لم ترد معلومات عن صحتهم أو مكان تواجدهم.

وأخبرت ريم شقيقة رزان زيتونة منظمة العفو الدولية بما يلي :

تمثل رزان العدالة ولطالما دعت إلى تطبيقها طوال سنوات قبيل الثورة. ولقد آثرت الأخذ بالخيار الصعب المتمثل بالمكوث في وطنها وأن تعيش في ظل الظروف الصعبة وتتوارى عن الأنظار في ظل خوف دائم من التعرض للاعتقال. وعندما انتقلت إلى الإقامة في إحدى "المناطق المحررة"، فلقد ساعدت على إقامة مشاريع وخدمات سلمية تسهم في التخفيف من وطأة الظروف الصعبة التي خلقها الحصار القاسي الذي تفرضه السلطات السورية على الغوطة الشرقية. ولم تكن رزان ترغب بأن تترك سكان دوما وحرصت على توثيق انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها جميع أطراف النزاع، وكتبت تقارير ميدانية في ظل ظروف صعبة ومضنية. وعلى الرغم من جميع الفرص التي أُتيحت لرزان لمغادرة البلاد، فلقد اختارت البقاء والحديث علنا عن أوجه الظلم والقمع .

"ولا نعلم أين تم احتجازها رفقة زوجها وزميليها الذين شاركوها نضالها؛ إذ لم تصب أي من مناشداتنا النجاح على صعيد معرفة مكانهم. ونقول لجميع الأشخاص وفي كل مكان: ساعدونا كي نعرف مصيرهم ونحررهم من غياهب سجنهم."

وتعتقد منظمة العفو الدولية أن رزان زيتونة وزملاءها قد تعرضوا للاختطاف، والحرمان التعسفي من الحرية، عقابا لهم على ما يقومون به من أنشطة مشروعة كمدافعين عن حقوق الإنسان. ويحظر القانون الإنساني الدولي ممارسة هذا، كما إنه أمر يخالف المعايير الدولية المرعية في مجال حقوق الإنسان. ونكرر مناشداتنا للجماعات المسلحة، التي تسيطر على المنطقة وحكومات الدول التي تدعمها، كي تبذل ما بوسعها لتأمين الإفراج عن رزان زيتونة ووائل حمادة وسميرة خليل وناظم حمادة.

© Private

الحملات

للانضمام إلى التحرك على تويتر في 9 ديسمبر/كانون الأول للدعوة إلى الإفراج عنهم، يرجى زيارة:

http://free-syrian-voices.org/take-action/

المعلومات الإضافية

للحصول على مزيد من المعلومات بشأن الحالة، انظر
http://www.amnesty.org/en/library/info/MDE24/021/2014